وثيقة إلى عامي القادم

"لا أحد يستطيع إرجاع الزمن إلى الخلف وبدء حياة جديدة، ولكنه يستطيع الآن أن يضع بداية جديدة ليسطر نهاية جديدة"
غسان كنفاني

يقتطف العمر عاماً آخرا من شجرة حياتنا ونتأهب لاستقبال عامٍ جديدٍ ، نتوسم فيه الفرح والسلام والوئام ، تذهب الأيام تجر ذكراها معها ، يوم يفوح بالفرح ، ويوم يملؤه الحنين ، يوم آخر يسوده الحزن ، أيام وليال وشهور ثم سنين ونكتشف فجأة أننا انتقلنا من الميلاد للطفولة و أختلف ما وصفنا به الآخرون " بنعومة أظافرنا " الي " ربيع العمر مرورا بالشباب " ، ثم ننتقل بغتة للأربعينات ؛ فتجري العقود ونعي أنه لم يبق من العمر قدر ما فات ، عامُ جديدُ سيأتي وأريد منه بعض المنحات ، أريد ان أسجل تعهداتي علي صخريات حتي لا أتناسي ما قررته أو أتقهقر من آنين الأزمات ، أتيقن تماماً من ازدحام اللحظات و سرعة مرور الأحداث ولكن سوف أستجمع ما أكتسبته من زخم الخبرات حتي أواجه صلابة الأقدار ، أيها العامُ الجديدُ، أريد أن أكون أكثر صلابة في مواجهة كل شديد ، أريد هدوءاً و تماسكاً حتى لو أوقعت بي نفسي في الأخاديد ، أبتغي أن أكون إنسانة من مادة صلبة من الخارج حتى لا أنكسر بيسر إذا جاءت النوائب ، لكن أريد أن أحتفظ بقلبي اللحمي النابض بكتلة المشاعر ، لا أريد قلبل حجريل لا يأبه بمعاناة غيره ولا قلبا ينلزق منه كل دفء وحنان ، ويكتسيه الجفاء والقساوة .... نعم ! أريد قلبي اللحمي المتوهج بدفء المشاعر رغم كل ما أقترفه في حقي ، رغم ما ألمني به من شعور بالعجز عن رفع كل معاناة عن المتعبين ، رغم كل شعور بالحنين لكل حبيب بعيد ، رغم كل توجع لهجر صديق لئيم .

أيتها الشهور الآتية ، أحتاج أن أكون أكثر معرفةً ، أريد أن يكون عقلي مصقولا بأوتار الفنون وضروب الثقافة ، أتمنى أن أروي ظمأي من أنهار الكتب ، أريد عقلا راجحأ يوزن الأمور ويبطئ في الأحكام ، أريد ان أهرب من كل سطحية وعبثية وجهل ؛ فحب الأستنارة يملأ كياني ونور المعرفة يدفعني لأتقرب إليه ، يا عامي الجديد ، لكِ علي - إن أعطاني الله العمر -

لأحطمن صندوقي الصغير الذي أتمسك به رغم مرور السنوات ، تعبت من ثقله ، لم أعد أطيقه ، أريد ان أتحرر من قيوده ، فهذا الصندوق كنت أختزن فيه كل إساءة ، كل شخص لا أحبه ، كل صديق خذلني ، كل عزيز تركني ، كل قريب خدعني ؛ فسواعد قلبي لم تقدر علي حمل تلك الضغينة التي على وشك أن تنفجر في وجهي وتؤذيني ، سوف أتحرر منك يا صندوقي . كلما أحتفظ بك وأتمسك ،كلما ازددت ثقلاً وأنهكت قواي ، لم أعد بحاجة لك ! أريد قلباً ، متسامحاً ،محباً، شفوقاً ،بسيطاً ، يحب الجميع ويتمني الخير للكل ، لن أحتفظ بأي شئ منك يا صندوقي ، لكن كن علي يقين أنني تعلمت من كل خديعة وغدر او هجر .

أخيراً ، أهدي سلامي لكل أعوامي الماضية ، أشكرها علي كل خبرة وكل درس . أشعر بالأمتنان علي كل صحبة يوماً ما جمعتنا ، كل ابتسامة ، كل نجاح ، كل وقت كان وسط الأهل والأحباب ؛ كلما مرت أيامي ، كلما تشكلت شخصيتي ونضجت وأصبحت أنا اليوم بخلاف أمس ، رفقاً بي يا عامي الجديد ، ألتمس فيك الخيرات وحسن الأنباء ، أرجوك لا تخذليني ،أريد أن أعبرك وأنا قوية ، صبورة ، حنونة ، متسامحة ، أريد أن أكون أفضل من كل ما فات ، أريد ان أستخرج كل ماهو جميل وأتخلص من كل بغيض .

أيتها السنين والأزمنة والشهور والأيام ، أقدرك ، أشعر بالامتنان تجاهك ، أحمل دائماً ذكراكِ في قلبي ، لكن عذراً ! فجميعكم بيد الله الذي لا ينام ، فهو في الحقيقة مانح كل العطايا والهبات ، هو من أهداني أياكم ، هو من قرر لي بقائي ؛ فحديثي لكم كان مجرد سرد لما أعطاني أياه الله ؛ فالحمد والشكر كله لله الذي بيده كل الأعمار والأيام .

.....